## والد الروائيات يتحدث

# لماذا شوهت الروائية غاسكيل سمعة السيد برونتي؟

لوكاستا ميلر

ترجمة: مصطفى ناصر

نشرت صحيفة التايمز مؤخرا خبرا في صفحاتها الثقافية عن اكتشاف رسالة في أرشيف قصر لامبيث في بريطانيا كتبها ريف باتريك برونتي بعد وقت قصير من موت ابنته شارلوت برونتي الروائية الانكليزية المعروفة وواحدة من الأخوات برونتي الثلاث اللواتي كن جميعا يكتبن الرواية. قيل ان الوثيقة من شأنها ان تغير صورة الرجل التي ظلت سائدة طويلا في الأوساط الادبية ، وتظهر رب العائلة الفيكتورية على حقيقته خلاف ما كان معروفا عنه كونه إنساناً مغامراً ومتهوراً ، يتصرف في المنزل بقسوة مثل الطغاة المستبدين. "لقد عشت عمرا طويلا كافيا ،" يقول باتريك في تلك الرسالة وهو يبث شكواه لاسقف ريبون ، "واريت الثرى بيدي زوجة محبوبة وستة أطفال ، كل ما كان لدي من عائلة.

كنت قد استمتعت كثيرا بأحاديثهم ورفقتهم ، كانوا يكنون المودة لرجل ربما اتصف بشيء من الحكمة والفضل. والان ذهبوا جميعا وتركوني ، لكن صورهم وذكراهم ما زالت باقية ، وتلتقي بي من حين لاخر."

جاءت تلك الكلمات ردا على رسالة تعزية ، وهي بالضرورة لا يحتمل ان تعطي دليلا على الحساسية المفرطة التي يتمتع بها الرجل. ربما يحق للمرء ان يتساءل على سبيل المثال ، أي الراحلين من عائلته على وجه التحديد كان يرى فيه رفيقا حميما او أبا حكيما؟ ابنه بارنويل الذي كان قد مات في ريعان الشباب بسبب الإدمان على الكحول والمخدرات؟ ايميلي ، التي كانت انطوائية الى حد انها لم تستمتع باي علاقة صداقة خارج نطاق عائلتها؟ اليزابيث ، التي كان موتها وهي شابة ايضا يبدو شيئا اقل اهمية بالنسبة لأخواتها من موت أختها الكبرى التي كن يقدسنها تقريبا وخاصة ماريا ، التي كانت قد خلدت من قبل شارلوت برونتي في شخصية هيلين برنز في رواية (جين ايرا)؟ ربما يكون الشيء الأكثر إثارة الذي تكشفه الرسالة نفسها والحقيقة التي تستحق الذكر انه قد مارس عواطف اعتيادية مع افراد عائلته. كانت الصورة السلبية لباتريك قد اختلقتها بالأصل أول من كتبت سيرة حياة شارلوت برونتي وهي الروائية الانكليزية اليزابيث غاسكيل ، المعروفة اكثر باسم مسز غاسكيل في ١٨٥٧ هذه الصورة ما زالت سائدة الى اليوم. لقد استمدت غاسكيل معلوماتها بالأساس من إشاعة لا سند لها ، على وجه التحديد تتمثل في شهادة مشكوك بأمرها أدلى بها خادم يبدو انه كان يميل الى الانتقام لانه سبق ان طرد من منزل عائلة برونتي. كانت الطبعة الأصلية من كتابها (حياة شارلوت برونتي) مليئة بالقصص الميلودرامية المختلقة عن تصرفات باتريك في المنزل والتي صورت بشكل يكاد يضعه في صفوف المجانين. لقد صورته الكاتبة رجلا مدمنا على الأفعال المشينة مثل تكسير الأثاث في نوبة غضب عارمة ، وافترضت إضافة الى ذلك انه كان سببا في تدمير صحة أطفاله ومعاناتهم من الجوع من خلال فرض حالة من التقشف في المنزل(هذا الامر كانت أميلي قد فندته من قبل بكلمات سطرتها في دفتر مذكراتها وتشير فيها الى مأدبة عشاء مفعمة بالمودة وزاخرة بأنواع الطعام واللحم).

بعد نشر تلك السيرة المثيرة للجدل بقي باتريك برونتي ، على الأقل في نظر الاخرين، إنسانا مهذبا الى حد معقول ، وقد طلب بكل بساطة من غاسكيل ان تزيل ادعاءاتها الزائفة تلك من الطبعة الثانية من الكتاب ، الامر الذي نفذته بالفعل. لكن بعد ان انتشرت الصورة التي رسمتها له غاسكيل على نطاق عام ، اصبح فيه مقولبا في الخيال الشعبي على انه أب مرعب وقاس. بالرغم من ان بعض ملامح تلك الصورة كانت قد انحسرت في وقت مبكر، الا ان القصص المستمدة من ذلك الكتاب بقيت تظهر في سير اخرى تناولت حياة الأخوات برونتي طوال القرن العشرين ، وحتى بعد ان خضعت مثل تلك السير الادبية للانتقاد مرارا ، الا ان الصورة التي استخدمت لم تتلاش ابدا.

يبدو ان العامل المؤثر الذي يقف وراء اعتقاد مسز غاسكيل بسوء شخصية باتريك كان يعود الى نمط العواطف التي كانت تراود وجدانها نيابة عن شارلوت برونتي وضمنيا نيابة عن كل امرأة كاتبة على العموم. لقد خلفت شارلوت بعد وفاتها روايات تعتبر مختلفة عن الكتابات النسائية السائدة في ذلك الحين ، انها كتابات فظة ، وحتى غير أخلاقية ولا تتسم بالطابع المسيحي حسب قول غاسكيل. كانت بطلات رواياتها يحملن الشيء الكثير من روح الأنانية ، والمفردات التي تستخدمها لم تكن دائما مهذبة ، وتبدو على استعداد حتى للتطرق للناحية الجنسية للمرأة بطريقة لا يمكن لأي مؤلفة التصدي لها ، اذا ما استثنينا ما فعلته الروائية الفرنسية جورج صاند التي كانت كتاباتها تتسم بالجرأة النادرة آنذاك.

حتى غاسكيل نفسها التي تخصصت بكتابة روايات إنسانية ذات طابع مسيحي ، اعتقدت انه كان هناك شيء غريب بشأن كتابات شارلوت. لكنها اعتبرت ذلك شيئا يدعو للرثاء ، نوعاً من المرض ، انه نتاج جانبي لسوء الحظ والتنشئة البائسة ضمن بيئة منعزلة غير متحضرة. لم يكن بإمكانها ان تجند نفسها للدفاع عن النتاجات الفنية لشارلوت برونتي وما رأت انه خيال أصيب بالضرر ؛ بدلا من ذلك قررت ان تنقذ سمعتها من خلال تقديم سيرة حياتها على انها ضحية لا ذنب لها للمعاناة المنزلية. ومن اجل عمل ذلك فقد طمست على سبيل المثال معرفتها بان شارلوت قد عانت من هاجس علاقة محظورة مع رجل متزوج، من اجل تحسين صورتها في نظر القارئ قدر الامكان.

وكان الأب المسكين باتريك جزءا من هذه المناورة المأساوية التي لعبت من اجل تنقية الصورة وإضفاء صفة الأنوثة على شارلوت ومحاولة إبعاد أي شيء مدنس عن رواياتها، لكن يبدو ان مسز غاسكيل احتاجت الى تشويه صورة اخرى في المقابل ، ان تحول الأب الى رجل فاشل في تربية أطفاله ، بل الى شيطان ايضا.

الامر المثير للاستغراب ان البعض من الأدلة التي جمعتها بنفسها كانت تتناقض مع وجهة نظرها هي ايضا ، وعلى وجه التحديد اقتباساتها من كتابات الأخوات برونتي المبكرة ، التي كشفت أنهن كن فتيات لطيفات يتمتعن بقدرة هائلة على الحيوية والمرح ، "وان والدهن كان يأتي لهن بلعب جميلة مثيرة". الا ان طفولة الحرمان التي خلقتها من خيالها كانت اكثر قدرة على التأثير من كل الحقائق التي وثقتها.

لقد بقي تجسيد غاسكيل المقيت لوالد الأخوات برونتي مع مرور الأيام ، بالرغم من ان عدداً من كتاب السير قد خصصوا الوقت والجهد لإنقاذه من المصير الذي آل اليه. كان الكتاب الأكثر قربا هو الذي الفته جولييت باركر ، التي كشف بحثها في المصادر المختلفة ومن بينها الصحف المحلية ان الرجل كان بعيداً عن ان يكون إنسانا غريب الأطوار كارهاً للبشر يعيش عزلة مرضية ، فهو في حقيقة الامر رجل نشيط فعال ويحظى بالاحترام في الحياة العامة. تظهر قصة باتريك برونتي التعيسة حتى بعد موته أي قدرة خارقة يمكن لكتاب السير ان يمارسوها ، وبالأخص في مجال تغيير بعض ملامح الشخصيات المعروفة للناس ، والتي يميلون من خلالها لتقديم حقيقة الشخصية او البطل الرئيسي متوخين في ذلك دقة غير كافية. الا ان ذلك يكشف ايضا المخاطر التي يحدثها كتاب السيرة الادبية في الاعتماد اكثر من اللازم على وجهات نظرهم الخاصة وتصوراتهم المسبقة والتصرف وكأنهم القضاة والحكم على الشخصية التي يتناولون حياتها من زاوية أخلاقية واعادة صياغتها في قالب أدبي من جديد. ان الوقائع الوجدانية السائدة ضمن الإطار العائلي ، او لنقل على وجه التحديد ، الاشياء التي تخلق علاقة جيدة بين الأب وأطفاله لا يمكن ان تخضع للمعايير نفسها المعتمدة على أدلة الأحوال المدنية او الشرعية مثل تاريخ الولادة او مكان الوفاة. ينبغي على كاتب السيرة ان يحاول جاهدا فهم الروابط المعقدة للتجربة الذاتية اكثر من ان يتصدى لمعالجة ربما تنطوي على نوع من الغطرسة لمسألة معينة وذلك إصدار حكم نهائي: متهم أو بريء.

❖ لوكاستا ميلر: مؤلفة كتاب (أسطورة برونتي).

# الغايات وأقاربها

جمال ناجي

بما أننا بدأنا شوطنا المتلكئ مع الألفية الجديدة ، وما حملت من تغيرات تكاد تعصف بما تبقى لدى الإنسان من يقين بإمكانية أن يكون المستقبل أفضل من الحاضر، وبما أن الزمن قد تنصل من إيقاعه التقليدي البطيء ، فلا بد من أن يحدث تغيير على المفردات والأمثال والحكم والمسلمات والنظريات الدارجة . لا بد من إحالة الكثير منها إلى التقاعد ، خصوصا بعد ان كشفت المتغيرات الزمانية أن التاريخ والتراث قد مارسا خدعا انطلت على الشعوب لقرون طويلة ، وتسللا إلى الشواطئ الآمنة للعقل الجمعي .

نحترم ما أنجزته البشرية على مدى تاريخها الحافل الطويل، ونرى فيه نتاجا إنسانيا ثقافيا حريا بالتقدير ، لكن هذا النتاج كثيرا ما يستبد بنا ، ويملي علينا مفاهيم وخلاصات تحولت بمرور الزمن إلى مسلمات ، على الرغم من احتياجها الأكيد إلى النقاش والتفكيك وربما النسف.

نحن مضطرون مثلا إلى إعادة النظر في الحكمة القائلة "إذا كان الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب " ذلك أن السكوت قد لا يرقى إلى مستوى التوتياء حين يكون الحديث الجريء لازما ،أوحين يصير الصمت واحدا من علائم الذل الذي غالبا ما يفضي إلى الإكتئاب ،هذا فضلا عن ان الساكت عن الحق شيطان أخرس يستحق الرجم وربما التنكيل.

في ما مضى من العقود كانت عبارة " الفقراء وقود الثورة " مدعاة فخر واعتزاز ملتبسين ، وكانت حمى الكلمات وقداستها كفيلة بقذف آلاف الجوعى إلى التهلكة .. ولكن ماذا عن الأغنياء الذين يظهرون عادة في النهايات الظافرة أوالمتكسرة لهذه الثورات ؟ لماذا لم يسأل الفقراء عن دورهم في غمرة تحمسهم للموت، على مرأى من أولئك الأغنياء الذين عادة ما ينتظرون –وهم على مقاعدهم الوثيرة – لحظة الإنقضاض على مكاسب الثورات والحروب؟

الأجيال الجديدة

وبعض السياسيين الجدد والتكنوقراط وخريجي الصالونات الباذخة ، يثرثرون كثيرا عن الغايات والمصالح ، ويصرون على تداول جملة براغماتية ظهرت إلى الوجود في بدايات القرن العشرين : "الغاية تبرر الوسيلة " . يقولونها بشيء من التجلي ، دون النظر إلى حدود هذه الوسيلة وحوافها الحادة ، ودون الإلتفات إلى ان عبادة الغاية وتسخير الحياة من اجلها قد يؤدي إلى تدمير الروح ، وإراقة الدماء ، وإفناء ما تبقى من مظاهر الصدق والحب والتعاون والإخاء !

هي دعوة ممنهجة إلى الفوضى التي تسمح بتمرير عربات الغنائم بأمان وسلام، وهي لا تصدر إلا عن مختبرات عقلية تصوغ الحيل والخطط غير البريئة من اجل إسباغ المشروعية على كل ما يتصل بالوسيلة ، طالما أن الغاية هي الهدف المنشود ، وهنا بالضبط يحتمي القتل والفساد والإختلاس والإفتراء وسائر الكبائر والموبقات تحت مظلة الغاية وأقاربها :المصلحة ، المنفعة ، الهدف ، الإستحواذ ...

لا أعتقد أن الأمريكي وليام جيمس في كتابه "البراغماتية " أو جون ديوي صاحب مدرسة شيكاغو، او حتى ميكافللي، كانوا من دعاة الفوضى المعقلنة حينما افصحوا عن افكارهم التي قرأناها في كتبهم ومؤلفاتهم حول الغاية والوسيلة، لكن من يمعن النظر هذه الايام في السلوك السياسي والإقتصادي والإعلامي والإجتماعي ، سيكتشف أكثر من اي وقت مضى أن " الغاية تبرر الوسيلة " تكاد تتحول إلى قانون يعلو قانون الجاذبية، مع أنها ليست اكثر من عبارة مارقة تستأهل المثول أمام المحاكم الأخلاقية وهيئات من المحلفين الغلاظ.

حين يتغير الزمن ، فإن الكلمات والعبارات والنظريات تصير بحاجة إلى تكرير ، إذ من غير المعقول أن يظل الناس محكومين للاقوال والنصوص والعبر التي تصر على تسيير حياتهم ، رغم انهم يكادون يسمعون بآذانهم مطالبات الواقع المعيش بضرورة التنقيح والتغيير.

هي دعوة ممنهجة إلى الفوضى التي تسمح بتمرير عربات الغنائم بأمان وسلام ، وهي لا تصدر إلا عن مختبرات عقلية تصوغ الحيل والخطط غير البريئة من اجل إسباغ المشروعية على كل ما يتصل بالوسيلة ، طالما أن الغاية هي الهدف المنشود ، وهنا بالضبط يحتمي القتل والفساد والإختلاس والإفتراء وسائر الكبائر والموبقات تحت مظلة الغاية وأقاربها :المصلحة ، المنفعة ، الهدف ، الإستحواذ ...

# مقام عراقي من نغم الصبا

الى العزيز زهير احمد القيسي
فيصل لعيبي

لاتزال كما عرفتك
كما الإشجار
مثمراً
ناضجاً
صادقاً مع الناس والذات والاشياء
لاتزال كما عرفتك
زاهداً
صبوراً
غنياً عن المغريات
تمر بك المكائد وتستدير
مكان ضيق كنت تتخذ
اوراق وملفات الارشيف
في ذلك المكان المعتم
تتأبط الكتب الثقال
تقلبها بأصابعك
حيث التاريخ وخطا الايام تعبر من
امامك
تاركة آثارها على ضوء النافذة
جبينك المقطب والمتعب
وعيناك المزهرتان بروح المعرفة وعمق البحر
كنا بعيدين عنك وكنت قريباً منا
ما أقصر الخطوات
ما أوسع الإختلاف
لايزال طيفك كشبح من بعيد
يلوح لي في ذلك الدهليز الطويل
داخل المؤسسة العامة للصحافة
قبل ان تتحول الى مؤسسة للسخافة
لاتزال كما كنت
كما عرفناك
كما النخلة
يساقط منها رطباً جنيا
يا للبهجة
كم نحن اقوياء بأمثالك

لندن في ١٢ / ٤ / ٢٠٠٨

## محطات ثقافية

### عرض مسرحي بلجيكي لرواية كنفاني " عائد الى حيفا " في رام الله

رام الله

بعد سنوات من عرضها على مسارح اوروبا قدم المسرح الشعبي البلجيكي رواية غسان كنفاني (عائد الى حيفا) مساء الاثنين على مسرح وسينماتك القصبة في رام الله مع ترجمة مكتوبة في أعلى شاشة المسرح باللغة العربية.

تتحدث المسرحية عن نكبة الفلسطينيين عام ١٩٤٨ من خلال قصة زوجين كانا يعيشان في حيفا قبل العام ثمانية واربعين وقد مضى على زواجهما عام ووسط اطلاق النار والقذائف في وقت كان فيه الزوج خارج المنزل ولم يتمكن من العودة اليه تخرج الزوجة من المنزل دون ان تنتبه الى انها تركت رضيعها (خلدون) وعمره خمسة اشهر هناك.

### العويس تحيي الذكرى العاشرة لرحيل نزار قباني

ابو ظبي

بمناسبة الذكرى العاشرة لرحيل الشاعر السوري الكبير نزار قباني، قدمت مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية في مقرها بدبي أمسية شعرية لأشعار الراحل من أداء الشاعرة الدكتورة بروين حبيب مع مرافقة موسيقية على آلة القانون للعازف غسان سحاب، قدم للأمسية عبدالإله عبدالقادر بحضور عدد من الشعراء والإعلاميين والمهتمين.

### قصص عراقية الى الانكليزية

بوسطن

انجز الناقد والمترجم شاكر مصطفى البروفسور في قسم اللغات الحديثة في جامعة بوسطن ترجمة ٣٣ قصة عراقية الى الانكليزية ، تصدر خلال هذا الشهر وتضم المجموعة التي تحمل عنوان (انطولوجيا الادب العراقي المعاصر ) قصص عدد من الكتاب العراقيين : محمد خضير . مهدي عيسى الصقر ، ابتسام عبد الله لطفية الدليمي وميسلون هادي.

### فاضل السلطاني في اتحاد الادباء

بغداد

اقام الاتحاد العام للادباء والكتاب اصبوحة للشاعر والناقد فاضل السلطاني تحدث فيها عن تجربته في الشعر والكتابة وتخللتها شهادات نقدية لكل من الناقد علي الفواز والشاعر صادق الصائغ والشاعر رياض النعماني والشاعر الفريد سمعان والتي اشاروا فيها الى خصوصية تجربة السلطاني في مسار الشعرية الحديثة في العراق.

### رواية " برهان العسل " لسلوى النعيمي تصدر بالفرنسية

باريس

صدرت رواية "برهان العسل" للسورية سلوى النعيمي التي تتناول موضوع الجنس عند العرب وفي الاسلام والتي كانت منعت في سوريا العام الماضي خلال معرض الكتاب الثلاثاء الماضي في باريس في ١٥ الف نسخة. وصدر الكتاب عن "دار لافون" وقام بالترجمة اوسكار حلياني وراجعتها الكاتبة ، بعد ان كان صدر العام الماضي في بيروت عن "دار رياض الريس" ولاقى رواجا في بيعه. وقالت النعيمي لوكالة فرانس برس ان رواج الكتاب بالعربية هو الذي دفع الى ترجمته و"برهان العسل" وضع "للقراء العرب وانما جاءت الترجمة كملحق" في رد على منتقديها ممن اتهموها بانها وضعت عن العرب كتابا للغربيين.